

تركيا العمق الاستراتيجي للعرب لو كانوا يعلمون

(2-1)

العربية تتهاوى الواحدة تلو الأخرى. وأصبح التهديد بسقوط مكة والمدينة تهديداً جدياً وخطيراً. ولم تُجد كل المراهقات على العلاقات والوعود الغربية. وإزاء هذا المنعطف الخطير، لا بد من مصارحة ومناصحة لكل من يعنيه الأمر. أما الاحتماء بمقولة السمع والطاعة لولاة الأمر ودرء الفتنة ونحوها، فهذه مقولات صحيحة في نفسها، لكنها سقيمة في نتائجها؛ لأنها مجزأة ومعزولة عن واجب النصح والتبصير بالعواقب، فهناك مساحة واسعة بين الفتنة والفوضى والشغب، وبين الطاعة العمياء والاستسلام للواقع.

إن تركيا اليوم هي القوة الوحيدة التي يمكن الوثوق بها، أما محاولة بعض وسائل الإعلام لحفر الهوة بين العرب وتركيا، فهي محاولة مشيوية لجعل العرب يخسرون آخر أصدقائهم في هذا الظرف الذي نرى فيه الأطماع باتت قريبة من مكة والمدينة.

إن خسارة العرب لحليف استراتيجي كبير كتركيا -خاصة مع وجود التوغل الإيراني الذي تمكن بالفعل من تطوير الجزيرة العربية- ليس له معنى غير التخطيط والضياع، أو محاولة غيبة جداً لكسب الود الإسرائيلي. وهذه -لو كانت- فهي لا شك بداية النهاية الفعلية.

إن إسرائيل ليست عدوة للفلسطينيين ولا لحماس ولا للإخوان، إنها عدوة لكل مسلم وكل عربي وكل عقال ولو كان على رأس علماني أو ليبرالي. سلونا نحن في العراف كيف أسلمتنا القيادة الأمريكية المتضهينة لسكاكين الميليشيات الطائفية، على أي شكل كنا وبأي ثوب خرجنا، حتى من كان يتأذى بالتطبيع، وحتى من شارك في العملية السياسية.

لقد كان أمام السعودية فرصة كبيرة لقيادة العرب في بناء هذا الحلف الاستراتيجي مع تركيا؛ فهذا هو دورها اللائق بها وبمكاتها الدينية والعربية، وهذا هو الذي يعزز موقعها القيادي في فضاءها الخليجي والعربي وليس العكس.



حينما نستعني على الأحداث الجزئية ونتجاوز إشكالاتها اليومية وننظر إلى المشهد الكلي للمنطقة، فإننا أمام ثلاث قوى إقليمية فاعلة -على ما بينها من تباين-: تركيا، وإيران، وإسرائيل. ولا توجد دولة عربية واحدة تستطيع أن تقف على قدميها لمناصفة واحدة من هذه القوى، ذلك إذا كنا نتكلم بالمعايير العلمية والمنطقية لعناصر القوة، وليس بالمعايير الذاتية والعاطفية.

تفخر العراق من المعاداة تماماً بعد أن كان الطرف الأقدر على تحقيق قدر من التوازن المطلوب، ثم خرجت مصر كذلك، وأما السعودية فكان بإمكانها أن تتقدم إلى منصة المناصفة، لكن الأحداث أثبتت أنها لا تختلف في مجموع أداؤها عن الدول العربية الأخرى. ولعل تجربتها في اليمن خير مؤشر على ذلك، وكذلك إدارتها للأزمة الحالية بهذه الطريقة التي هزت موقعها القيادي، حيث تقلبت الخيوط من يدها، وأصيب مجلس التعاون بحالة شلل تام أو موت سريري، وإذا كان هذا في فضاءها الأخرى، فما بالك بالفضاء الأبعد، وهذا لا شك مما لا تتسامح، فلا نزال ننظر إلى السعودية باعتبارها العمق الطبيعي، خاصة بالنسبة لأهل السنة المنكوبين في الشام والعراق، ولكن كأن هناك من يسعى -وضمن حسابات وطموحات ضيقة، وإن بدا ناصحاً أو حليفاً- لتويرط المملكة وإشغالها عن الدور اللائق بها.

لقد بات العرب مكشوفين تماماً، وغدت العواصم